النهي عن الإسراف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه وبعد.

فيشيع في الناس كثيرا الإسراف. وهو ترك التوسط والاعتدال. والتوسط والاعتدال قد طلبه المولي عز وجل وحث عليه. وأكد أنه لا يحب المسرفين. وإذا انتفى حبه تعالي للمسرفين فما يجوز للمسلم أن يتصف بالسرف.

قال تعالي :« كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » قال القرطبي: المعني:« لا تأخذوا الشيء بغير حقه ولا تضعوه في غير حقه. فأخذ الشئ بغير حقه إسراف. ووضعه في غير حقه إسراف كذلك.

ووضح إياس بن معاوية معني الإسراف بقوله: ما جاوزت به أمر الله فهو سرف قال ﷺ:« المعتدي في الصدقة كمانعها ».

قال ابن كثير في تفسيره: أي الذي يعطي حتي لا يبقي شيئا. كالذي يمنع: فكلاهما جاوز أمر الله قال ﷺ:«خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»أي ما كان زائدا قد فضل عن غني.

ويشهد لذلك سبب نزول هذه الآية. روي ابن عباس أن ثابت بن قيس بن شماس عمد إلى خمسمائة نخله فجذها. ثم قسمها في يوم واحد. ولم يترك لأهله شيئا فنزل قول الله تعالي:« كلول من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » أي لا تعطوا كله.

ويشهد لكراهة الإسراف حتي في الصدقة. ما ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ عليه وسلم لما دخل علي سعد بن أبي وقاص يعوده قال: يا رسول الله إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة. أفأتصدق بثلثي مالي. قال: لا. قال: فالشطر. قال: لا . قال: فالثلث قال: الثلث. والثلث كثير. ثم قال رسول الله ﷺ: إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس».

وفي الصحيح عن ابن عباس قال: لو أن الناس غضوا من الثلث إلي الربع. فإن رسول الله ﷺ قال: « الثلث والثلث كثير. ».

أقول: ففي هذا الحديث النبوي وتعليق ابن عباس رضي الله عنهما عليه ما يشهد بوضوح لكراهة الإسراف ولو في الصدقة.

ذلك أن الرسول ﷺ قد نهي سيدنا سعدا عن التصدق بثلثي ماله ثم نهاه كذلك عن التصدق بالنصف ثم أجاز له ثالثا التصدق بالثلث مع إشارة إلي أن النزول إلي الربع أفضل كما فهم سيدنا عبد الله بن عباس ترجمان القرآن.

هذا مع أن سيدنا سعدا ذكر أنه ذو مال.. ولا يرثه إلا ابنة. فذكر سببين للإكثار من صدقته. الأول أنه ذو مال أي كثير. فثلثه الذي يبقي بعد التصدق بالثلثين كما طلب أولا فيه ما يكفي ابنة واحدة. والثاني ترك ابنة واحده. فليست ولدا ومعلوم أن البنت إذا كبرت وتزوجت نفقتها علي زوجها. فالبنت إذا كبرت أعباءها أقل من الولد.

ومع ذلك فلم يبح له الرسول ﷺ أن يتصدق بأكثر من الثلث. مع إشارة إلي أفضلية النزول في الصدقة إلي الربع.

وقد يقول قائل: فمال بال الصديق رضي الله عنه ينفق ماله كله في سبيله الله ويقره الرسول ﷺ علي ذلك. عندما جاء بماله كله يوم تبوك. فسأله ﷺ: ماذا أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله ﷺ. وفيه نزل قوله تعالي: **﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكي وما لأحد عنده من نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه ربه الأعلي ولسوف يرضي﴾**.

قال ابن كثير: ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. حتي إن بعضهم حكي الإجماع من المفسرين علي ذلك.

وأقول له: ما قلته حق. ولا يناقض ما تقدم. فمن كان مثل الصديق في إيمانه بالله عز وجل وسخاء نفسه. ووجد من الضرورات الإسلاميه ما يفرض عليه الصدقة بماله كله فله أن يتصدق آنذاك بماله كله.

وإذا لم تكن هناك ضرورة إسلاميه لبذل المسلم ماله كله في سبيل الله. أو كان إيمانه يتزلزل إذا خرج عن ماله كله في سبيل الله أو يعتريه أسف أو ندم فلا يجوز له آنذاك أن ينفق ماله كله في سبيل الله

أخي المسلم. ويشهد لمنع الإسراف في الصدقة. أن المولي عز وجل نهي عن التبذير أبلغ النهي بعد الأمر بإيتاء ذي القربي حقه والمسكين وابن السبيل. وكلها قربات

لله عز وجل وألوان من الصدقه. ومع ذلك أتبع هذه القربات بالنهي عن التبذير أبلغ النهي فذكر تعالي أن المبذرين إخوان الشياطين. أي يشبهونهم. وكان الشيطان لربه كفورا فدل هذا علي أن التبذير المنهي عنه أولا. هو الإسراف في هذه القربات حيث لم يتقدم هنا أكل ولاشرب ولا نفقه علي النفس.

فإذا كان هذا موقف الإسلام في الصدقة ونحوها من القربات الماليه. فإن موقفه من الإسراف في الأكل والشراب وسائر وجوه النفقة أشد. قال تعالي: « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » وروي الإمام أحمد بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف. فإن الله يحب أن يري نعمته علي عبده »ويحدد ﷺ الإسراف في الطعام بأنه أكل مافوق ثلث حجم بطنه.

روي الإمام أحمد بسنده عن المقدام بن معد يكرب الكندي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه. حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان فاعلا لا محالة. فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».

فجعل ﷺ ما زاد عن ثلث البطن من الإسراف في الطعام وأشار إلي أن الأليق بالمسلم أن يأكل دون ثلث بطنه. بقوله: « حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ». وأباح له إن عجز عن ذلك ألا يزيد عن ثلث بطنه.

وفي هذا الخير كل الخير للإنسان فالبعد عن السرف في الطعام مع ما فيه من طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ. فيه أيضا صيانة للجسد من كثير من الأمراض وتنشط للجسد علي القيام بواجباته. ففي هذه الوصية النبوية المباركة ألوان من الخير للمسلم الصادق الذى يسارع إلي امتثال ما أمر الله عز وجل به. وما أمر به رسوله ﷺ كذلك ومسلم كذلك . كيف وقد جاء الأمر بعدم الإسراف في الطعام والشراب في الكتاب والسنة معا. تأكيدا له وحثا عليه.

وذكر ﷺ تحديدا آخر للسرف في الطعام هو أن يأكل الإنسان كل ما اشتهاه.

روي الحافظ أبو يعلي بسنده في مسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت » ورواه أيضا الدارقطني.

وقد ذكر تعالي من صفات عباد الرحمن التي هي موضع ثناء الله عز وجل. أنهم إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا. قال تعالي:« والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » قال ابن كثير في تفسيره: أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة. ولا بخلاء علي أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم».

وقد أمر تعالي بالتوسط في النفقه و ذم التقتير والبخل كماذم الإسراف والتبذير. فقال تعالي:« ولا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ».

يقول ابن كثير في تفسيره: يقول تعالي آمر بالاقتصاد في العيش ذاما للبخيل ناهيا عن السرف «ولا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك ولا تبسطها كل البسط» أي لا تكن بخيلا منوعا. ولا تسرف في الإنفاق. فتعطي فوق طاقتك. وتخرج أكثر من دخلك. فتقعد ملوما إن بخلت يلومك الناس ويذمونك ومتي بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير. وهي الدابة التي قد عجزت عن السير فوقفت ضعفا وعجزا ».

فيعلل تعالي النهي عن التبذير بأنه يقعد بصاحبه محسورا. أي عاجزا عن مواصلة مسيرة حياته فيندم.

ويؤكد ﷺ الحث علي الاقتصاد في المعيشه وعدم الإسراف بقوله:

«من فقه الرجل قصده في معيشته » رواه الإمام أحمد. والقصد في المعيشة هي التوسط في النفقة فلا إسراف ولا تقصير. ولا تبذير ولا بخل.

ويذكر ﷺ أن الاقتصاد يحول بين الإنسان وبين الفقر والحاجة فيقول « ما عال من اقتصد » رواه الإمام أحمد.

ويحث على الاقتصاد في الغني وفي الفقر بل وفي العبادة أيضا. أي التوسط روي البزار بسنده عن حذيفة قال:

قال رسول الله ﷺ:« ما أحسن القصد في الغني وما أحس القصد في الفقر وما أحس القصد في العبادة ».

فاحرص أخي المسلم علي الاقتصاد في أمورك كلها. وابتعد عن الإسراف

والتبـذير. ابتعادك عـن البخل والتقـتير. فـالإسراف مفـسدة للنفس والمال والمجـتمع. والتقتير كذلك.

والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل.